JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ
العدد السادس عشر
(٢٧١)- (٢٩٣)

البِنية التأسيسية للهوية الذاتية والنقد الأخلاقي
دراسة تحليلية في فلسفة جوديث بتلر

نيسم شاكر داخل ، أ.م.د. حنان علي عواضة
جامعة بغداد / كلية الآداب
naysamshakir@gmail.com ، Hananali@coart.uobaghdad.edu.iq

المستخلص :

في فلسفة بتلر مواءمة عميقة بين جانبين : الجانب الأول يتعلق بالبحث المتواصل في الشروط اللاشخصية الفاعلة في تكوين الهوية الذاتية ، والجانب الثاني يتصل بأثر هذه الشروط في تعزيز المسؤولية الأخلاقية .

تنظر بتلر للواقع الإنساني نظرة موضوعية شاملة لمختلف أوجه هشاشته وضعفه ، فهي لا تكتب إنطلاقاً من رؤية متفائلة وساذجة اتسمت بها فلسفات عديدة وصفت بأنها إنسانية ، كما إنها ترفض الاستسلام للنزعة التشاؤمية الطاغية في الفلسفات البنيوية ، فإذا ما كانت هنالك ثمة أمل ممكن فهو أمل مسؤول لا يحمل الكثير من الوعود بقدر ما يعترف بمرارة الواقع وما يحث الجهد على العمل. إنه مشروع أخلاقي لانهائي ملتبس غير واضح المعالم ، يحتمل النجاح وربما الإخفاق ايضاً ، وإذا ما أخفق فإنه لا يستسلم ، بل يعاود الفعل ، فالأمر متروك لنوايانا الصادقة .

إشكالية هذا البحث هي جملة من التساؤلات الأخلاقية الواقعية تتصل بالقدرة على العيش الحر في عالم تخلقه وتقيده شروط الضرورة ، فهل ذلك ممكن ؟ وما أوجه العلاقة الممكنة بين العمى التكويني للهوية الذاتية وتأسيس أخلاقيات تستند إلى المسؤولية وقوة اللاعنف ؟ وأخيراً أثر ذلك في مجال النظرية الاجتماعية ، أي العلاقة بين النقد الأخلاقي والنظرية الاجتماعية ؟

الكلمات المفتاحية : جوديث بتلر ، الذات ، الرغبة .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

The Foundational Structure of Self-Identity and Moral Criticism: An Analytical Study of Judith Butler's Philosophy

Naysam Shakir Dakhil , Dr. Hanan Ali Awada
University of Baghdad / College of Arts
Hananali@coart.uobaghdad.edu.iq ، naysamshakir@gmail.com

Abstract :

Judith P. Butler (١٩٥٦) is a contemporary American philosopher, writer, and gender supporter. She has had many takes on various social, global, political, and personal issues in modern-day philosophy and ideology. She, also, served as a chair in different literary and academic positions in the United States and in Europe. This paper, accordingly, draws on Butler's contributions to philosophy, mainly those issues of identity and moral criticism. In Butler's philosophy, there is a deep alignment between two aspects: the first relates to the continuous research into non-personal conditions that are active in the formation of self-identity, and the second relates to the role of such conditions in promoting moral responsibility. Butler considers human reality objectively and comprehensively the various aspects of its fragility and vulnerability. It is not written on the basis of an optimistic and naïve vision that characterized many philosophies described as human, It also refuses to succumb to the pessimism of structural philosophies. If there is any hope possible, it is a responsible hope that carries not so many promises as to acknowledge the bitterness of reality and to induce action. It is an indefinite, ambiguous, and unclear moral project, likely to succeed and possibly fail as well, and if it fails, it does not give up, but reverts, it is up to our sincere intentions. The problem with this research is a set of real ethical questions relating to the ability to live freely in a world created and restricted by the conditions of necessity, is that possible? What are the possible linkages between the formative blindness to self-identity and the establishment of responsibility-based ethics and the power of non-violence? Finally, this has affected social theory, that is, the relationship between moral criticism and social theory.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

Keywords: Judith Butler, self, desire .

المقدمة :

يُعدُّ الاهتمام باشكالية الهوية الذاتية محوراً فلسفياً أساسياً في فكر الفيلسوفة الأمريكية جوديث بتلر (ولدت ١٩٥٦) ، فالذات من حيث منابع تكوينها، وطريقة تمثلها لنفسها، وعلائقيتها المتشابكة مع السلطة، بمثابة خيط ناظم لمجمل عملها الفلسفي. وعلى الرغم من تشعب الأسئلة التي يمكن صياغتها إنطلاقاً من هذه الاشكاليات، فإن الاهتمام الفلسفي الماكث تحتها بسيط جداً، هو ذاته الاهتمام الفلسفي الأصيل، منطلق الفلسفة في لحظتها التأسيسية الإغريقية، أي الاهتمام المتعلق بكيفية تشييد حياة جيدة وسلوك نمط من العيش الحكيم، ومن ثَمَّ تجربة التحكم في الذات وسط لا إرادية الوجود التي تخترق الذات الإنسانية. وبشكل عام تتسم فلسفة بتلر بأنها فلسفة شاملة لقضايا الذات، وهي تنطلق من إشكالية مركزية يمكن تشخيصها سؤالاً إجتماعياً وفلسفياً على النحو الآتي : كيف يعيش المرء حياته بشكل جيد، على الرغم من أننا نوجد في عالم تكون فيه الحياة الجيدة غير متاحة من الناحية المنهجية ؟ (See,Butler, ٢٠١٥: ١٩٣-١٩٤) .

المبحث الأول : الذات والآخر في سياق الرغبة في الاعتراف

تكاد أن تكون الفلسفة الهيغلية (١٧٧٠-١٨٣١) اطاراً عاماً لمجمل فلسفة بتلر (See,Cambell, ٢٠٠٥: ٩١)، فلا تكف الفيلسوفة عن الاستعانة بها في جميع زوايا فلسفتها، سواء أكانت تلك الاستعانة عبر المنهج الجدلي الهيغلي أم فيما يتعلق بنشأة الهوية الذاتية على صعيد مفهوم الاعتراف، وسوى ذلك من انعكاسات اخلاقية وسياسية وثقافية لمفهوم الهوية الذاتية.

المطلب الأول : جدلية السيد والعبد

تطرح فينومينولوجيا الروح الهيغلية تاريخاً تراجيدياً لنشوء الهوية الذاتية، تظهر الذات الإنسانية فيها ككائن قد زُجَّ به عنوةً في مغامرة الوجود وموقع حيوي لصراع الأضداد ، تحركه دافعية استحصال الاعتراف من الآخر والحق الشرعي في أن يكون. في خضم ذلك يتمظهر الوعي الذاتي عبر جدلية السيد والعبد كبنية انعكاسية ما بين ذات وموضوع، في رحلة ذهاب من الألفة الساذجة للأنا إلى غرابة الآخر، وعودة محملة بالإستلاب هي شرط الوعي في ذاته ولذاته " إن الوعي – بالذات يكون في ذاته ولذاته ما كان وعي – بالذات مغاير، في ذاته ولذاته، ومعناه أنه لا يكون إلا من حيث يُعترف به ... ولكن هذا الأمر له معنى مضاعف : أولاً، أن الوعي – بالذات قد ظلّ ذاته،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

لأنه إنما يجد ذاته كأنها ماهية مغايرة، ثانياً، أن الوعي – بالذات يكون قد نسخ الآخر، لأنه لا يرى الوعي – بالذات المغاير كماهية، بل يرى ذاته هو في الآخر" (هيغل، ٢٠٠٦ : ٢٦٧-٢٦٨) .

إن الوعي بالذات قبيل رحلة الاعتراف وصراع الرغبة في الوجود إنما هو وعي قاصر ومحدود، طالما أنه وعي منعزل لا يرى سوى نفسه ولا يعترف بمنزلة الآخر كشرط أولي لمعرفة ذاته. لا بل وأن مفهوم الوعي ذاته هنا محل شك، فكيف يمكن القول بتحقق الوعي الواقعي من دون تجربة الإنعكاس عبر الآخر، تجربة الألم والمعاناة والرغبة في الوجود ؟ لقد كان الوعي أول أمره " مساو لذاته عبر صد كل مغاير عن ذاته، فماهيته وموضوعه المطلق إنما هو في نظره الأنا... أما ما هو مغاير فيكون بالنسبة إليه موضوعاً غير جوهري وموسوماً بطابع السلبي؛ لكن الآخر هو أيضاً وعي – بالذات ؛ كذا يهل فرد في مواجهة فرد. وإنهما إذ يهلان هكذا في – الحال إنما يكون الواحد منهما للآخر على نحو ما تكون الموضوعات المشتركة، وجوه قائمة برأسها، ووعيات منغمسة في الكينونة التي للحياة " (المصدر نفسه : ٢٧٠) . ومادام الأمر كذلك فإن الوعي لا يتعرف على نفسه إلا في صراع الاضداد، ولا يكون وعياً في ذاته ولذاته بحق إلا عبر الآخر السالب لماهيته الأولى " وعليه فالعلاقة بين الوعيين – بالذات إنما تتعين على نحو أنهما يمتحنان نفسيهما، فيمتحن كل منهما الآخر، عبر الصراع من أجل الحياة والموت، ولابد أن يمضيا في هذا الصراع، لأنه لابد لهما أن يرفعا إلى مصاف الحقيقة إيقانيهما من نفسيهما أنهما لذاتيهما، في الآخر كما في ذاتيهما " (المصدر نفسه : ٢٧١). إن تحقق الوعي الذاتي بالنسبة لهيغل لا يمكن أن يتحقق من دون وساطة الآخر، هذا هو شرط العالم ومبدؤه الأصيل، تحكمه الرغبة الانعكاسية في الاعتراف والتي يجري عبرها اكتشاف الهوية الذاتية، بالنظر لما يتضمنه هذا الصراع من ارادة مسبقة لنفي للآخر.

إذن لا تعرف الذات نفسها إلا من خلال معرفة الآخر، والرغبة – بناءً على ذلك – هي دائماً رغبة قصدية في شيء ما آخر، ولكنه في الوقت نفسه رغبة للذات نفسها. هناك طريقتان للرغبة عند هيغل : الرغبة في الآخر والتي تؤدي لفقدان الذات، والرغبة في أنفسنا والتي تؤدي لفقدان العالم، فلا تعرف الذات والحال كذلك إلا بوصفها ظِلاً لآخر (See,Saleh, ٢٠٠٢ : ٢٧). لقد حقق مفهوم الآخر الهيغلي انعطافة حقيقية على صعيد الفكر الفلسفي المعاصر، فبعد أن كانت الهوية الذاتية مقيدة بأغلال الوعي المنعزل، ومنغمسة في خطاب من التماثل النظري المجرد، جاءت اللحظة الهيغلية لتحررها من قيودها الوهمية، وتلقي بها في أتُون حركة الواقع، ونسيج علاقات العالم الحقيقي. كل ذلك أصبح ممكناً بعد وضع مفهوم الرغبة موضعاً فلسفياً تأسيسياً، انطلاقاً من مبدأ أن

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

الوعي بالهوية الذاتية بشكلٍ عام هو الرغبة في الاعتراف من قبل الآخر " فالوعي – بالذات إنما لا يبلغ راحته إلا في وعي – بالذات مغاير" (هيغل، ٢٠٠٦ : ٢٦٥) .

يُعد اكتشاف مفهوم الرغبة في الاعتراف مدخلاً جديداً لفهم تَشَكُّل الهوية الذاتية للإنسان، بمثابة رؤية جديدة بقدر ما هي واقعية، فالرغبة في الاعتراف " تدل على انعكاسية الوعي، وضرورة أن يصبح غيره لنفسه لكي يعرف نفسه، فالوعي كرغبة خارج عن نفسه، وكخارج نفسه فإن الوعي هو وعي الذات... فالرغبة مرتبطة اساساً بمعرفة الذات، إنها دائماً الرغبة في التأمل، والسعي وراء هوية مختلفة، فلا يمكن للذات حسبما يرى هيغل أن تعرف نفسها بشكل فوري، بل إنها تتطلب وساطة لفهم بنيتها الخاصة"(Butler, ١٩٨٧ : ٧) . تأتي هذه الأطروحة الهيغلية على النقيض من فلسفات الوعي المنعزل أو الماهية المتحققة قبل الوجود، أي فلسفات الكمال المعرفي والأخلاقي المسبق للهوية الذاتية.

إن الهوية الذاتية في أول أمرها كما يرى ذلك هيغل هي ذاتية مُلتبِسَة غير واضحة المعالم، تتمايز وتتحقق لاحقاً في خضم هذا الزمان الحي الحاضر، ولما كان الحاضر الحي نسيجاً من الأفاق الزمنية، فإن اسقاطات الذات لنفسها نحو احتمالات المستقبل، وتذكرها لمآثر انجازاتها هو ما يشكل هويتها الذاتية (See, Butler, ١٩٩٥ : ٢٤) . بالاستناد إلى التجارب التي تخوضها والقدرات التي تصر على امتلاكها والمحافظة عليها، تتعرف الذات على نفسها، بوصفها مشروعاً في الوجود لا هوية ثابتة أو جوهر أزلي، إنها بالفعل تكتشف ذاتها وكأنها آخر، فليست هي نفسها ما كانت عليه من قبل، وليست هي الآخر الذي انعكست من خلاله " لأنني لن أكتشف نفسي مثل الأنت، الذي اعتمدت عليه من أجل أن أكون " (Butler, ٢٠٠٤ : ٤٤).

تتضمن عملية الاعتراف انبثاق كائن جديد، انطلاقاً من اتساع في الوعي المُدرِك، هو بمثابة حاجز ما بين الماضي والحاضر، فالحقيقة حد نهائي لا يمكن لمن تخطاها العودة إلى ما كان عليه في سذاجته الأولى، لا بل وإن أثر فعل الاعتراف لا يقتصر فقط على بزوغ الحاضر فحسب، وإنما يعيد ترميم الماضي وتنظيمه " هناك إذن خسارة تكوينية في عملية الاعتراف لأن الأنا تمر بتحول عبر فعل الاعتراف، ولا يكون كل ماضيها مجموعاً ومعروفاً في فعل الاعتراف، إن الفعل يغيّر تنظيم ذلك الماضي ومعناه في نفس الوقت الذي يحول فيه حاضر الشخص الذي يتلقى الاعتراف " (بتلر، ٢٠٠٤ : ٧٣).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

إن الذات على وفق هذه الرؤية ما هي إلا رغبة في الاعتراف، رغبة تسعى إلى انعكاسها في الآخر، لكنها أيضاً رغبة تسعى إلى نفي تغيير الآخر. الرغبة التي تجد نفسها في مأزق مطالبة الآخر بتحويلها، فترفض أن تكون أسيرة لرغباته، في وسط هذا الارتباط العاطفي يحدث الاعتراف، عندما يدرك الوعي نفسه ضائعاً في الوعي الآخر، حينئذ يسعى الوعي إلى استعادة نفسه، فقط لإدراك أنه لا عودة من التغيير إلى ما كان عليه (See, Butler, ١٩٩٨ : ١٣-١٤) . إذاً في خضم هذا التفاعل المتبادل، من مطالبة بالتغيير واصرار على عدم الخضوع، يدرك الوعي ذاته واستقلاليته، هكذا تجري الأمور في جدليات لاحقة لتتوطد أركان البنى المؤسساتية للمجتمع.

المطلب الثاني : قراءة بتلر لفلسفة هيغل

تستثمر جوديث بتلر هذه الجدلية الفلسفية في تقديم رؤية دينامية لمختلف أشكال العلاقات الثنائية، ومحاولة منها لتأسيس أخلاقيات تستند إلى قوة اللاعنف، والتي تقوم على مبدأ الاعتراف بغيرية الآخر (See,Butler, ٢٠٢٠ : ٦٩). في قراءتها الجديدة لجدلية السيد والعبد الهيغلية الوقوف على أمور أخَر غير ثنائية الإعتراف المباشر، فهي تريد تسليط الضوء على قضايا لم تنل العناية الكافية من قبل الفيلسوف أو شراح فلسفته، كما إنها تحاول اجراء عدد من التصويبات الضرورية لمسار تلك الجدلية، لاسيما فيما يتعلق بصيغتها الميتافيزيقية، والمعرفة المطلقة التي تنشدها :

– إنها من جهة أولى تريد الكشف عن الشروط القبلية – التي لم تأخذ اثرها الكافي في الجدليات الهيغلية – العاملة بوصفها مقولات أو أطر حتمية تجري فيها عملية الاعتراف، تتعلق هذه المقولات بالتنظيمات الاجتماعية والشروط البنيوية الصارمة التي نجد أنفسنا خاضعين لها بحكم الضرورة " عندما يصبح الإعتراف ممكناً بين هاتين الذاتين المتنافستين، لا يستطيع أن ينجو على الإطلاق من الشرط البنيوي الخاص بالتبادلية الضمنية " (بتلر، ٢٠٠٤ : ٧٢) .

– ومن جهة ثانية تعمل على التخفيف من الطابع الافتراضي والأسطوري المكثف للسيرورة الهيغلية عبر تغذيتها بعناصر تُمَفصِل الفهم واقعياً بما ينسجم مع عالم الحياة اليومي، فهي لا تتحدث عن اعتراف قياسي بالمعنى الهيغلي، بل عن عثرات في الاعتراف هنا وهناك، وتُعنى بالبنية الخطابية أكثر، فضلاً عن دور الكلام وكذلك الجسد وسوى ذلك من أمور مستحدثة بعد الهيغلية " إن الذات الهيغلية تعرف دائماً أكثر مما تعتقد أنها تعرفه، لذلك فإن الدراما الخطابية للتفسير التي تتبعها

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

الفيلسوفة تتم اعادة صياغتها في مستوى أكثر واقعية، في علاقة وطيدة مع العالم الحسي والإدراكي" (Butler, ١٩٨٧: ٣١).

– ومن جهة ثالثة، ولهذا الأمر أهميته الفائقة بوصفه محورا أساسيا في فلسفتها، فإنها تعمد إلى تفكيك البديهيات الخادعة وكافة أشكال المعرفة المباشرة المحايثة لها، فكل ما هو معطى جاهز بطريقة مباشرة فهو غير واقعي ومزيف. ففيما يتعلق بموضوعنا فإن هنالك مشكلة في الأصول والمبادئ الأُوَل التي انطلق منها هيغل، فالهوية المتطابقة والمحددة للأنا الأولى السابقة لمسار الاعتراف يتوجب وضعها محل شك. لذلك تشرع الفيلسوفة في تفكيك بنية تلك الهوية، مسلطةً الضوء على مدى هشاشتها واستحالة التأسيس المتعجل. بالنسبة لبتلر فإنه حتى هوية الأصل بعيدة المنال بشكل غريب، فما يظهر لأول مرة على أنه شيء واحد منفصل يمكن إظهاره على أنه يتضمن ما يشبه نصاً تشعبياً لانهائياً من الإرتباطات المتداخلة (See,Kirby, ٢٠٠٧ : ٨).

المبحث الثاني : الذات بين الحرية والضرورة

ذكرنا آنفاً أن مسار الاعتراف – بوصفه مطلباً أخلاقياً – لا يجري بطريقة مباشرة، وإنما يخضع لشروط بنيوية (اجتماعية وتاريخية) قبلية تحكم زمام مبادراتنا الحرة . تستدعي هذه الإشكالية تسليط الضوء على العلاقة بين القضايا الأخلاقية وسياقها الاجتماعي، وذلك لاجل تحليل موقع الهوية الذاتية بين حرية الإرادة وضرورات الواقع.

المطلب الأول : فلسفة الأخلاق والمبادئ الاجتماعية

تستطلع جوديث بتلر هذه الإشكالية من منظور نقدي مستعينة بالأطروحات الأخلاقية للفيلسوف ثيودور أدورنو (١٩٠٣–١٩٦٩) المتعلقة بالتمييز بين الأخلاقيات العامة وفلسفة الأخلاق. إذ تشير الأخلاقيات العامة إلى وجهة نظر العالم الحية، المعبر عنها في العبارات والمبادئ والأمثال، أما فلسفة الأخلاق فإنها تنأى بنفسها عن أي اتصال مباشر بالواقع المعاش (See,Adorno,٢٠٠٠:٢). يرفض أدورنو اعتبار الأخلاقيات العامة حقائق بديهية للسلوك الإنساني، لأنها مجرد مواضعات تاريخية (لاوعي جمعي) تتخذ شكلاً أيديولوجياً قامعاً للنظرية الاخلاقية والحريات الخاصة، إنها بمثابة عنف اجتماعي . إن الصراع هنا بين العام والخاص، والممارسة الأيديولوجية التي تتعالى على النظرية الأخلاقية وترفض الفكر على أساس تفوقها المفترض ستنحدر إلى مستوى النشاط لمصلحتها الخاصة (See,Ibid : ٦). تشرع بتلر في بحث أطروحة أدورنو من منطلق نقد العنف الأخلاقي للكليات التجريدية، فمحاولة فرض منظومة أخلاقية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

واحدة بعينها لكل زمان ومكان ينتهي إلى ممارسة العنف والإرهاب " إن عنف الكلية يتكون جزئياً من لا مبالاتها تجاه الظروف الاجتماعية التي تقرر فيها امكانية قبولها قبولاً حياً. إذا تعذر هذا القبول الحي، ترتب على ذلك أن يصبح اجتياز اختبار مبدأ السلوك أمراً مهلكاً، يفرضها خارج لا مبال على حساب الحرية والخصوصية " (بتلر، ٢٠١٤ : ٤٤).

لا يعني هذا بكل تأكيد رفض بتلر لحقائق الواقع، فالمعايير الأخلاقية سمة أصلية من سمات الوجود في هذا العالم. إنها لا تدعي امكان قيام الذات بمعزل عن شروطها الاجتماعية، كما أنها لا تحيل الذات كلياً إلى تلك الشروط . إذن في هذا الموقع المتأرجح يتوجب البحث في نشأة الهوية الذاتية " لا تقف أنا بمعزل عن قالب مهيمن من المعايير الأخلاقية والأطر الخلقية المتصارعة، ويعد هذا القالب بمعنى هام الشرط لنشوء الـ الأنا أيضاً، على الرغم من أن الأنا لا تتكون بسبب هذه المعايير" (المصدر نفسه : ٤٥). إن الهوية الذاتية ليست عنصراً ساكناً يمكن إحالته إلى مجال أحادي الجانب، بل إنه موقع حيوي لقوى متضادة، ومن ثَمَّ فإن طريقة وصف الذات لنفسها وإن كانت تنبثق من صميم مبادرتها الحرة، فإنها تنزع بالضرورة لتضمين هذا الوصف في أفق العصر الذي وجدت فيه " والسبب في ذلك أن الأنا لا تمتلك قصة تخصها لا تكون قصة علاقة ما أو مجموعة من العلاقات مع مجموعة من المعايير أيضاً " (المصدر نفسه : ٤٥) .

لعل السؤال الأبرز الذي يتبادر إلى الأذهان هو سؤال أخلاقي يتعلق بإمكانية تأسيس أخلاقيات حرة وسط حالة الضرورة المحيطة بنشاة الهوية الذاتية : فهل يعني ذلك انعدام قاعدة ذاتية للأخلاق ؟ الجواب هو الرفض التام لمثل هذا الاستنتاج. إن إظهار الشروط اللاشخصية لا يعني تلاشي المقدرة الأخلاقية للذات بأي حال من الأحوال، فالذات الإنسانية تكتشف كامل قدراتها الأخلاقية في موقع السجال هذا، ففي رفضها النقدي للواقع تحاول تدبر معايير جديدة وخلق واقع أفضل " إن جزءاً من التدبر سيترتب عليه فهم نقدي لتكوينها ومعناها الاجتماعيين، يكون التدبر الأخلاقي بهذا المعنى وثيق الصلة بعملية النقد، ويدرك النقد أنه لا يستطيع أن يمضي قُدماً دون النظر في الطريقة التي وجدت بها الذات المتدبرة والكيفية التي يمكن بها أن تحيا وتتملك مجموعة من المعايير " (المصدر نفسه : ٤٦). فلا يمكن الحديث عن قدرة نقدية دون الإحالة إلى موضوع قبلي ووجود سابق في اطار اجتماعي، لا بل وإنه لا يمكن الحديث عن رؤية نقدية من حيث المبدأ دون رصد اقتناع أولي أو على الأقل وجود راضخ لشروط حتمية اجتماعية وتاريخية. يتطلب هذا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

الأمر البحث عن كثب في فاعلية هذه الشروط في تكوين الهوية الذاتية وتحديد مكانتها داخل التنظيم الاجتماعي.

من أجل استكمال البحث في موقع الهوية الذاتية بين الحرية والضرورة وانعكاسات ذلك على المستوى الأخلاقي تطرح بتلر رؤية الفيلسوف نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) فيما يتعلق بتاريخية نشوء الوعي بالذات الأخلاقية وعلاقة ذلك بأصل الهوية الذاتية " من الممكن سلفاً أن نحرز أن مفهوم الضمير الذي نلتقي به هنا في هيئته العليا... إنما له بعدُ وراءه تاريخ وتحول – في – الشكل طويل " (نيتشه ، ٢٠١٠ : ٨٥-٨٦). إذ يرى نيتشه أن انبثاق ما يعرف بالضمير الإنساني والوعي بالهوية الذاتية له علاقة مباشرة بالشعور بالذنب، وأن لهذا الأمر تاريخه الطويل وتحولاته المتنوعة، لا بل وإنه يعتقد أن هذه القضية هي ما يتوجب توضيحه قبل " كل افتراض مسبق حول حرية الإرادة من عدمها " (المصدر نفسه : ٨٩).

إن انبثاق الوعي بالذات هو نتيجة حتمية لشعورنا بالظلم والمعاناة " نحن لا نشرع في تقديم الوصف [لأنفسنا] إلا لأننا نُستدعى بوصفنا كائنات تُعد مسؤولة أمام نظام عدالة وعقاب ما، ولا يكون هذا النظام موجوداً منذ البداية، لكنه يتأسس عبر الزمن وبتكلفة باهضة تدفعها الغرائز الإنسانية " (بتلر، ٢٠١٤ : ٤٩). هكذا بدأت الذات تاريخياً في اكتشاف هويتها، إنها تجد نفسها معرضة عنوةً للمسألة والعقاب والاتهام، فلا تجد مخرجاً من هذا الإحراج إلا عبر تقديم وصف مرتبك ومذعور لذاتها.

ترى بتلر أن إمكانية السرد الذاتي هو الشرط المسبق للشعور بالمسؤولية وتأكيد الفاعلية السببية للهوية الذاتية وليس العكس، ومن ثم فإنها لا تعترف بأولوية نظام العقاب النيتشوي في هذا الصدد، على اعتبار أن البنية الحوارية هي بعد تأسيسي للهوية الذاتية سابق لمشهد العقاب " من المهم في موقف نيتشه أنه يقيد فهمه للمسؤولية بهذه النسبة المتوسطة قضائياً والمتأخرة، وهو يخفق بجلاء في فهم الحالات التحاورية الآخرى " (المصدر نفسه : ٥٤). إن الذات الإنسانية وإن كانت منخرطة ضمنياً في تنظيمات اجتماعية وتاريخية، حتى تكاد أن تكون مجرد صيرورتها الانعكاسية، لكنها في نفس الوقت قدرة نقدية خلاقة لحدود تلك التنظيمات " أن نخلق أنفسنا بهذه الطريقة بحيث أننا نكشف عن هذه الحدود يعني على وجه الدقة أن ننخرط في جماليات الذات التي تحافظ على علاقة نقدية مع القواعد القائمة " (المصدر نفسه : ٥٨) .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

إن العلاقة بين الأخلاقيات العامة التنظيمية ونشوء الوعي الأخلاقي للهوية للذاتية ليست بسيطة كما يعتقد الكثير، بل إنها علاقة شائكة تتضمن العديد من المستويات. بدايةً ترفض بتلر توجهات النزعة الإنسانية وادعاءاتها القائلة بأن الإصرار على تأكيد فعالية الشروط البنيوية تدمر الذات وتعلن أفولها لذلك تتجه للإعلاء من شأن الحرية بطريقة ساذجة. وفي مرحلة تالية تعمل الفيلسوفة على تقديم وصف واقعي لبنية عالم الحياة مستعينة بآراء الفيلسوف ميشيل فوكو (١٩٢٦-١٩٨٤) " بينما يعتقد نيتشه أن الأخلاق يمكن أن تُشتق من مشهد العقاب المرعب، يبتعد فوكو عن التأملات الختامية في جينيالوجيا الأخلاق ليركز على الإبداعية الخاصة التي تنخرط فيها الأخلاق وكيف أن الضمير المثقل، على وجه الخصوص، يصبح الوسيلة لصناعة القيم " (المصدر نفسه : ٥٦).

على الرغم من إعتراف بتلر بالأهمية القصوى للأنماط الأخلاقية السابقة لنشوء الهوية الذاتية، إلا أنها تتفق مع فوكو في القدرة الابتكارية للذات الإنسانية "صحيح أن كل فعل أخلاقي يحتوي على علاقة بالواقع الذي ينجز فيه، وعلى علاقة بالرمز الذي يحيل إليه، ولكنه يتضمن أيضاً علاقة معينة بالذات، وليست هذه العلاقة ببساطة وعياً بالذات، ولكنها تشكيل للذات كـ ذات أخلاقية، تشكيل يحصر فيه الفرد الجزء من نفسه الذي يشكل موضوع هذه الممارسة الأخلاقية، ويعرف موقفه بالعلاقة مع القاعدة التي يتبعها، ويحدد لنفسه إسلوب وجود معين يتقدم كإكتمال أخلاقي لنفسه " (فوكو، ٢٠٠٤ : ٢٩). على هذا الأساس تفهم بتلر مجمل الشروط التاريخية بوصفها ما يسمح بانبثاق أخلاق نقدية ذاتية، ففي وسط حتمية اللاإرادي التاريخي يكتشف الإرادي الذاتي أقصى إمكاناته " إنها تقيم المسرح لقيام الذات بإستنبات نفسها، وهو أمر يقع دائماً مع مجموعة من القواعد المفروضة، لا تقوم القاعدة بإنتاج الذات كما لو أنها من نتائجها الضرورية، ولا الذات حرة تماماً في عدم الاهتمام بالقاعدة التي تدشن إنعكاسيتها، إن المرء يصارع على الدوام ظروفاً في حياته لم يكن ليختارها، إن كان ثمة عملية ذات فاعلة، أو في الواقع حرية في هذا الصراع، فإنها تقع في سياق حقل تقييد يوفر الإقتدار ويقرر الحدود " (بتلر، ٢٠١٤ : ٦٠).

تقدم بتلر تحليلاً واقعياً لبنية الوجود الإنساني، وهي تنظر لقضية العلاقة بين الحرية والضرورة بمنظار جديد، سواء على صعيد نشأة الذات وطريقة وصفها لنفسها أو على صعيد المسؤولية الأخلاقية. والحق يقال أن محاولات النزعة الإنسانية تذهب أدراج الرياح عند اصطدامها بواقعية الشروط التكوينية للهوية الذاتية، كما أنها أخفقت من قبل أمام إحراجات أسئلة الحرية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

والجبرية. فأمام تجربة الإستلاب البنيوي تنهار إدعاءات الحرية الإنسانية المطلقة والقدرة الكاملة على تقرير المصير.

إن هذه الرؤية الجديدة لا تتضمن حنيناً ماضوياً ولا التفاف على معطيات الحداثة بعناصر أسطورية، وإنما فقط يتضمن السير قدماً في هذا الطريق حتى نهاياته البعيدة، لنكتشف أن السلب ما هو إلا معطى تأسيسي لا يقل اهمية عن معطى الحرية، فليست الحرية لوحدها قادرة على فعل شيء في مدارات العدم، بل لابد من غرسها نقدياً في حقل الضرورة. إن حالة العماء والتيه هذه لا تعني إخلاء المسؤوليات الأخلاقية، لأن أية نظرية " في تشكيل الذات تقر بمحدودية معرفة الذات يمكن أن تعزز مفهوماً للأخلاق وللمسؤولية أيضاً، إذا كانت الذات معماة تجاه نفسها، تفتقر إلى الشفافية الكاملة وتفتقد المعرفة عن نفسها، فإنها بذلك لا تملك تصريحاً يبيح لها أن تفعل ما تريد أو تهمل إلتزاماتها تجاه الآخرين " (المصدر نفسه : ٦١).

إن عتمة الذات تجاه نفسها هي معطى إيجابي للمسؤولية الأخلاقية تجاه الآخرين وليس العكس، فإذا ما كنا في حيرة من أمر هويتنا الذاتية في علاقتها بالآخرين، فمن المفيد إذاً النظر إليهم بمنظار أنفسنا، وإقامة اخلاقيات أكثر لطفاً، تتناسب مع حالة العماء المشترك هذه والتوقف عن الإدانات المتعجلة أو أية تقييمات أخلاقية مطلقة.

المطلب الثاني : الاعتراف والنقد الأخلاقي

لكن كيف يمكن إقامة هذه الاخلاقيات الجديدة ؟ ألا يتطلب ذلك أولاً الكشف عن هشاشة معرفتنا بذواتنا ؟ ونزع الأقنعة المزيفة التي تحول دون تعرية الوجه الحقيقي لذواتنا : ضعفنا، جهلنا، ترددنا وحيرتنا. لنسلط الضوء على مختلف التشوهات التي هي نحن، ولنعلن صراحة بأننا لا نعرف على وجه الحقيقة من نكون، لعل ذلك يساعد في تقبل جهل الآخر بذاته بكل مرونة، والاكتفاء بمعرفة ناقصة هي انعكاس لطبيعتنا التكوينية، بعيداً عن المطالبات الدوغمائية الصارمة بتعريفات واضحة وحدود نهائية لما لا يقبل التحديد.

كما لاحظنا سابقاً فإن نشأة الهوية الذاتية لا تنفصل عن نظام الحقيقة التاريخي، فالذات الإنسانية هي في المحصلة نتاج لأنظمة اجتماعية قاهرة، ينعكس هذا الأمر بكل تأكيد على طريقة رؤية الذات لنفسها، فهي لا تستطيع الاعتراف أو تقديم وصف ذاتي لنفسها إلا عبر شروط النظام الذي أنتجها " نجد أن نظاماً للحقيقة هو ما يوفر الشروط التي تجعل إدراك الذات ممكناً، وهذه الشروط تقع خارج الذات إلى حد ما، ولكنها تُقدّم أيضاً بوصفها القواعد المتاحة التي يمكن للإعتراف

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

بالذات أن يقع داخلها، بحيث أن ما أستطيع أن أكونه يتقيد مسبقاً على نحو حرفي بنظام حقيقة يقرر شكل هذا الوجود وإمكانية أن يكون معترفاً به أم لا " (المصدر نفسه : ٦٥). تجد الذات نفسها منخرطة بالضرورة في مجال تاريخي محدد، يعمل هذا المجال كأرضية أو مسرح لكافة مشاهد الاعتراف، فهو يرسم معالم نمط الاعتراف من دون أن يحدده بشكل نهائي. في هذا الموقع المتوتر تتشابك الخيوط فيصبح نقد المجال التاريخي نقداً لقدرة الذات على وصف نفسها بكل شفافية ووضوح " إن إخضاع نظام حقيقة ما للمسألة ، نظام يتحكم بتخليق الذات، يعني إخضاع حقيقة نفسي للمسألة، وهو في الواقع إخضاع قدرتي على قول الحقيقة عن نفسي وعلى تقديم وصف لنفسي للمسائلة " (المصدر نفسه : ٦٦). لكن ألا تتضمن هذه المحاولة مخاطرة الخروج عن النسق الاجتماعي، وفقدان أهلية أن تكون الذات معترفاً بها في محيطها الحميم ؟

يفتتح هذا السؤال أفقاً رحباً لأسئلة أخلاقية تتعلق بقبول الذات أو نبذها، ذلك أن معايير الاعتراف الاجتماعي هي قواعد خارجية بالنسبة لي وللآخرين أيضاً " إن القواعد التي أعترف بموجبها بالآخر، أو في الواقع بنفسي، ليست ملكي وحدي، إنها تفعل فعلها بقدر ما هي اجتماعية، متجاوزة، أي تبادل ثنائي تقوم هي بتكييفه " (المصدر نفسه : ٦٧). فهل هذا يعني أن الهوية الذاتية محكومة سابقاً بتلك المعايير، إلى الدرجة التي يستحيل معها إنجاز الاعتراف خارج النسق البنيوي ؟

يعجز نمط الفهم القائم على التقابلات الثنائية الكسولة عن إيجاد أجوبة لمثل هذه القضايا الشائكة، ذلك أن حصر الجواب بين خيارين : إما / أو ، هو نمط من الفكر المثالي الذي لا يمت للواقع بصلة، فالحقيقة الواقعية أكثر تعقيداً من الإحاطة بها منطقياً، والإجابة عن السؤال أعلاه تتطلب محايثة مستديمة لهشاشة الذات وفقر الواقع، ودرجات من التوسطات الفكرية التي يستحيل دونها الإلمام بفهم حيوي لجدلية الضرورة والحرية . إن الإخفاق في منح الاعتراف أو تلقيه إذا ما تخطت الهوية الذاتية حدود المألوف الاجتماعي لا يعني استحالة التقدم الأخلاقي في هذا الصدد، ذلك أن الحدود ليست نهائية وإنما هي تخوم قابلة للنقد والإختراق، كما إن تراكم الإخفاقات لهو مؤشر على عجز النظام البنيوي وبداية أفوله " من الصحيح أيضاً أن بعض أنواع معينة من الاعتراف تؤشر موقع خروج على أفق المعيارية وتستدعي إقامة قواعد جديدة ضمناً، وهي تثير الأسئلة بصدد حقيقة أن الأفق السائد مُعطى، إن الأفق المعياري الذي أرى الآخر ضمن حدوده.. هو الآخر خاضعاً لإنفتاح نقدي " (المصدر نفسه : ٦٨). ففي صميم صلابة الواقع وبنيانه المعياري هناك ثغرة للحرية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

الذاتية، تفتتحها الرغبة المُلِحة في الاعتراف – عطاءً وتلقياً – والتي تشرع في إقامة علاقة نقدية مع ما هو مُعطى وجاهز.

لكن النتيجة المذهلة حقاً لا تكمن في قدرة الذات النقدية على تفكيك الشروط البنيوية للواقع الاجتماعي، وإنما هي تكمن في حقيقة مفادها : أن هناك علاقة وطيدة بين قدرة الهوية الذاتية على ممارسة النقد الخلاق والتنظيمات الاجتماعية التي تضعها الآن موضعاً للتساؤل. لا بل ويمكن القول أن النقد مستحيل من حيث المنشأ دون الإحالة إلى قاعدة معيارية تتخذ هيئة تنظيم اجتماعي، هنا تنهار التوجهات الوجودية الإنسانية حين تخفق في فهم ثراء جدلية التحدي والإستجابة " يبدو أن الـ الأنا تكون خاضعة للقاعدة في اللحظة التي تقدم بها مثل هذه المنحة [الاعتراف] ، بحيث تصبح الـ الأنا وسيلة لفاعلية ذاتية تباشرها القاعدة، لهذا يبدو أن القاعدة تستخدم الـ الأنا على نحو ثابت بالدرجة نفسها التي تحاول بها الأنا أن تستخدم القاعدة " (المصدر نفسه : ٧٠). بناءً على ذلك لم تعد الرغبة في الاعتراف مجرد علاقة ثنائية مباشرة، وإنما هي خاضعة بطريقة جدلية لشروط بنيوية ضمنية، ولا تقف هذه الشروط الموضوعية اللامبالية حائلاً أمام الاعتراف الطامح للنقد وتخطي الحدود، بل إنها تعمقه أخلاقياً وتجذره اجتماعياً، طالما أنها تحفز الهوية الذاتية على خلق معايير إنسانية جديدة.

المطلب الثالث : لانهائية وصف الذات لنفسها

لعل الطريقة التي تتمثل فيها الذات لنفسها هي القاعدة التشريعية لأحكامها الأخلاقية، فكلما كانت الذات أكثر قدرة على اكتشاف مكامن عُريها وعتمة شخصيتها من جهة الوصف، كانت الأجدر بتبني أخلاقيات رفيعة المستوى. إن القول بأن الهوية الذاتية هي منتج اجتماعي من حيث النشأة والتمثل، يتوجب عليه أن يسلط الضوء على حالة التفرد التي تتمتع بها الشخصية الإنسانية فضلاً عن تلك القواعد اللاشخصية " لأن مشكلة التفرد قد توفر نقطة إنطلاق لفهم المناسبات المحددة التي يتم فيها تملك هذه القواعد في أخلاقية حية " (المصدر نفسه : ٧٧). ولكن كيف يمكننا تسليط الضوء على حالة التفرد هذه ؟ ألا يتطلب ذلك البحث في سيرورة الاعتراف، لا بل والبحث في آلية وطريقة وصف الذات لنفسها ؟

كنا قد ذكرنا سابقاً أن بتلر تعمل على تهذيب الجدلية الهيغلية للإعتراف بأشكال شتى، وهي هنا تحاول معالجة إشكالية الاعتراف ووصف الذات لنفسها بطريقة أكثر قرباً من عالم الحياة. اذ ترى بأن أية محاولة لوصف الذات لا يمكن لها أن تنطلق من معين العزلة الشخصية، بل إنها تفترض

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

سابقاً بنية مخاطبة ثنائية الاتجاه " يفترض السؤال أن ثمة آخر أمامنا لا نعرفه ولا يمكن أن نفهمه فهماً تاماً، وفرديته وتعذر إستبدال غيره به يضعان حداً على نموذج الاعتراف المتبادل المطروح ضمن الخطة الهيغلية وعلى امكانية معرفة الآخر بشكل أعم " (المصدر نفسه : ٧٨).

تتضمن آلية الوصف الذاتي تفصيل القول في بنية المخاطبة الثنائية، لذلك تستدعي بتلر أراء الفيلسوفة الإيطالية المعاصرة أدريانا كافاريرو (ولدت ١٩٤٧) Adriana Cavarero وتحديداً قراءتها لعمل الفيلسوفة حنة آرنت (١٩٠٦-١٩٧٥) ، فقد اهتمت الأخيرة في كتابها الوضع البشري، بالكشف عن العلاقة بين الكلام والفعل وأثرهما في خلق عالم واقعي مشترك. إن الفعل والكلام يتحققان بين البشر باعتبارهما يوجهان إليهم، ويحافظان على قدرتهما على كشف الفاعل، إنهما يخلقان عالماً واقعياً ومساحة من الاهتمامات المشتركة بين البشر، إنه مجال الشؤون البشرية الذي يقرب بينهم ويربطهم إلى بعضهم البعض، مع وجود الكشف عن فاعل يفعل ويتكلم، يحافظ هذا العالم المشترك على تفردهم وعدم تلاشيهم في عالم الأشياء الموضوعية (ينظر، آرنت ، ٢٠١٥ : ٢٠٤-٢٠٥).

تحاول بتلر من خلال تسليط الضوء على الصلة بين الفعل والكلام إعادة الاعتبار لمقام العلاقة الثنائية وحيوتها في الكشف عن الهوية الذاتية، بعيداً عن الأراء المبتسرة لهيغل ونيتشه. هناك تناقض واضح مع الرأي النيتشوي أن الحياة من حيث الأساس وثيقة الصلة مع الدمار والمعاناة، وتجادل كافريرو على الضد من هيغل بأننا مخلوقات مكشوفة بالضرورة بعضنا لبعض في ضعفنا وتفردنا، فليست الهوية الذاتية مغلقة على نفسها وأنانية، بل إنها موجودة بمعنى مهم بالنسبة للآخر، الذي هو شرط تحقق بنية المخاطبة، وبينما يتحرك هيغل من سيناريو ثنائي نحو نظرية اجتماعية في الاعتراف، ترى كافريرو أن من الضروري تثبيت الاجتماعي في أرضية اللقاء الثنائي (ينظر، بتلر، ٢٠١٤ : ٧٩). إن محاولة تشييد نظرية واقعية عن الهوية الذاتية يتطلب مقاربة واقعية لعالم الحياة، فلماذا يجري اختزال الواقع في بعد واحد، كأن يكون النظر من جهة الإدانة والعقاب النيتشوية أو من جهة عقلانية مثالية هيغلية تحاول الحسم المتعجل لإشكالية الذات عن طريق صهرها في عقلانية التاريخ الإفتراضي.

إن بنية المخاطبة تقدم فهماً أداتياً للهوية الذاتية لا مجرد تأريخ أسطوري، والحق يقال أن لكل شخص هويته المتفردة التي تتكشف عن كثب في ثنايا اللقاءات الثنائية في محاولتنا لسرد قصة حياتنا ومعرفة قصة الآخر. أثناء الكلام والفعل يكشف المرء عن شخصيته المميزة، في ضعفها وفقرها الخاص، وقصصنا الذاتية هي دائماً متفردة عن الآخرين، جديدة وقابلة للتغيير، حيث يعمل

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

السرد الذاتي على تكشف المعنى ويفتتح فضاءات مقاومة غير متوقعة، على عكس الرؤى الفلسفية التي أهملت الخاص والشخصي في إهتمامها بالتقاط ما هو كوني فقط (See,Elisabetta, ٢٠١٨ : ٢٥).

ليس هذا فحسب، بل إن بنية المخاطبة الثنائية تعيد الاعتبار لكينونة الأنت، التي دائماً ما يتم اختزالها عبر صيغة الأنا في مجمل الأنساق الفلسفية الشمولية، والحقيقة هي أن الأنا لا يمكن أن توجد بدون الأنت، فهناك إعتماد تبادلي بين الذات والآخر، ولكن من دون تلاشٍ للتفرد والخصوصية، تلك السمة الأبرز للهوية الذاتية. كذلك تؤكد بتلر على قضية مهمة أخرى تتعلق بتوضيح معنى التفرد، خشية توهم انخراطها في نزعة وجودية رومانتيكية. إن التفرد المقصود هنا لا يتضمن أي معنى بطولي بالمعنى المألوف، ولا هو تفرد يتخذ شكلاً نرجسياً شائعاً، وإنما هو تفرد نابع من تعذر إختزال عتمة نشأة الهوية الذاتية نفسها، من حيث علاقة الشخصي باللاشخصي في التعبير عن من أكون ؟ لهذه القضية تداعياتها الخطيرة على إشكالية وصف الذات لنفسها " إن الوصف الذي أقدمه لذاتي في الخطاب لا يعبر تماماً عن هذه الذات أو يحملها، كلماتي تؤخذ مني ما أن أقدمها، يقاطعها زمن الخطاب الذي يختلف عن زمن حياتي، وهذه المقاطعة تنافس الإحساس بأن الوصف متجذر في نفسي فقط، مادامت البنى المختلفة التي تمكنني من الحياة تنتمي إلى إجتماعية تتجاوزني" (بتلر، ٢٠١٤ : ٨٤).

إذن تخفق الذات في تقديم وصف مطلق لقصة نشوئها بسبب العجز التكويني لطبيعتها، أو بسبب هويتها المتأخرة زمانياً إزاء ظروف نشوئها، وهي من جهة ثانية مضطرة لتمرير جملة من العناصر الاجتماعية ذات الطابع المعياري في وصفها لذاتها، وما ذلك إلا لكي تحظَ بالاعتراف. في خضم هذا الإخفاق المركب ترى بتلر بصيص أمل يمكن أن نشرع من خلاله في فتح أفق جديد لرسم معالم السرد الذاتي. إن تعذر إستعادة المرجع الأصلي لا يدمر السرد بل إنه ينتجه في مسار قصص خيالي، فالذات تستطع سرد قصة أصلها بطرق مختلفة في كل مرة، يشكل هذا الإنكشاف المتعدد شأنه شأن عمل المعايير الشروط التي تحكم نشوئي بوصفي كائناً متأملاً له ذاكرة، إن الوصف الذي أقدمه لنفسي وصف جزئي مسكون بذلك الذي لا أستطيع أن أبتكر له قصة مؤكدة (ينظر، المصدر نفسه : ٨٦-٩٠).

إن استحالة الوصف النهائي لا تمنع إمكانية وصف الذات لنفسها، فنحن بالفعل نصف ذواتنا مرة تلو الأخرى. يقودنا ذلك للإعتراف بتعددية الوصف أو لانهائيته بالنسبة لكائن تخترقه شروط

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

تكوينية لا دخل له فيها. فهل هذا العمى التكويني مؤشر على امتناع المسؤولية الأخلاقية أم إن وعينا به حافز نحو تبني أخلاقيات أكثر رحابة تجاه الآخر ؟ إن أطروحة بتلر القائمة على أساس هشاشة الهوية الذاتية تدعونا لإعادة النظر في قواعدنا الأخلاقية وأحكامنا المطلقة. ذلك أن عدم قدرة الذات على تقديم وصف منجز لهويتها يعد مورداً أخلاقياً يؤسس المسؤولية، فالنظرة الكاشفة لضعفنا يمكن أن تستثمر كأصل للفاعلية الأخلاقية، وذلك بمجرد الوعي بمحدودية معرفتنا ونمدها على الآخرين (See, Parisa, ٢٠٢٠ : ٤٢).

المبحث الثالث : مشروع تأسيس أخلاقيات لاعنفية

إنتهينا في المبحث السابق إلى قضية شائكة تتصل بالعلاقة بين عتمة الهوية الذاتية وإمكانية تأسيس أخلاقيات عملية نقدية مضادة لكل ما يدعي بأنه واقعي، قائمة على أساس مبدأ اللاعنف. وعلى ما يبدو فإن الأخلاقيات السائدة الواقعية وكافة النظم الاجتماعية العقلانية التي تؤمن بشفافية الذات، تعتبر بشكلٍ أو بآخر – بالنسبة لبتلر – أنظمة متعالية عن الواقع الإنساني ، لا بل ويمكن القول أنها تمارس العنف أو العنف الرمزي بطريقة أو بأخرى " إن اللاعنف يتطلب نقداً لما يمكن إعتباره واقعاً ، والتأكيد على قوة وضرورة الواقعية المضادة" (See, Butler, ٢٠٢٠ : ١٠).

المطلب الأول : تعليق الحكم

تقوم فكرة أخلاقيات اللاعنف على مبدأ الإنعكاس البسيط، أي الاثر الإيجابي لعملية تبادل المواقع بين الذات والآخر. فإذا ما تأملت الذات في عتمتها الخاصة، وإكتشفت مدى هشاشة كيانها إزاء لا إرادية الوجود، كان من الأجدر بها الاعتراف بضعف الآخر وهشاشته أيضاً " ربما هي أخلاق تستند إلى عمانا المشترك، اللامتغير، الجزئي تجاه أنفسنا، الاعتراف بأن المرء لا يكون في كل منعطف متطابقاً تماماً مع ما يقدم عن نفسه في الخطاب المتاح يمكن أن يتضمن بالمقابل، التحلي بالصبر مع الآخرين والتوقف عن المطالبة بأن يكونوا أشباه الذات في كل لحظة " (بتلر، ٢٠١٤ : ٩٤).

إن المشكلة التي تمنع تأسيس هذه الأخلاقيات المضادة أو الأخلاقيات اللاعنفية عبارة عن وهم نفسي وإجتماعي أصبح قاعدة معيارية تحدد رؤية الذات لنفسها وللآخر، إنه الوهم المتعلق بقدرة الذات على معرفة نفسها بشفافية تامة وكأنها كيان يمتلك زمام أمره، على هذا الأساس فإن أية محاولة لتعليق الحكم المؤقت تجابه عنفاً اخلاقياً بالضرورة، طالما أن المعيار الاجتماعي يمارس سطوته بكل تجرد، ولا يتخذ هذا الوهم شكل قوة ضاغطة من الخارج فحسب، بل إنه سلوك تمارسه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

الذات تجاه نفسها وتجاه الآخر " إن قدرة الذات على أن تعترف وتحظى بالاعتراف ناجمة عن خطاب معياري يفتقر إلى زمانية منظور المتكلم، وزمانية الخطاب هذه تربك خطاب المرء الخاص " (المصدر نفسه : ٩٤).

لكن هل هذه الإشكالية تقف حائلاً أمام القدرة على الاعتراف ومن ثم تأسيس أخلاقيات عملية مضادة ؟ الحقيقة أن هذا الخطاب المعياري هو خطاب لا غنى عنه في تأسيس الإعتراف ذاته، لا يوجد ثمة إعتراف ممكن دون استحالة أولية أو إخفاق تأسيسي، فما بين تحدٍ وإستجابة يتمظهر الاعتراف كصيرورة تفاعلية حية " يستتبع ذلك ان المرء لا يكون قادراً على منح الإعتراف والفوز به إلا بشرط أن يتعرض لإرباك مساره بفعل شيء لا يكون من ذاته، أن يتعرض إلى إزاحة عن المركز ويخفق في إنجاز هوية الذات " (المصدر نفسه : ٩٤).

يقع على عاتق أخلاقيات اللاعنف الإقرار بالحدود النهائية لما هو ممكن، والاعتراف بأن وصف الذات لنفسها لا يرقى إلى مستوى معرفة جاهزة، وإنما هو مشروع قيد التحقق أو سؤال مفتوح. وهذا يعني فيما يعنيه السماح للآخر بأن يعيش إخفاقاته من دون إلزامات قاهرة، على إعتبار أن الحق في العيش هو مطلب الأخلاقية الأول والأخير " فلتتأملوا الاشخاص الأسوياء، وكذلك أنفسكم أنتم أيضاً، فسترون كم هي كثيرة تلك الأشياء التي يكون همكم الوحيد هو عدم أخذها من لدنكم مأخذ الجد " (لاكان ، ٢٠١٧ :٤٤). ومن أجل وضع الأمور في نصابها الصحيح، تميز جوديث بتلر بين الواقع القانوني والواقع الاجتماعي، كما إنها ترسم خطاً فاصلاً في صميم النظرية الأخلاقية ذاتها بين الأحكام والعلاقة الأخلاقية.

إن التميز بين الواقع القانوني والواقع الأخلاقي يستهدف خطر الإنتقال المتعجل من الميدان الأخلاقي إلى مجال الأحكام القانونية أو محاولة حصر العلاقات الأخلاقية وأرضيتها الاجتماعية في إطار قانوني ضيق " مما لا خلاف عليه أن هنالك حالات أخلاقية وقانونية يكون لزاماً فيها إصدار مثل هذه الأحكام، لكن علينا ألا نخلص من هذا إلى أن إتخاذ قرار قانوني بالإدانة أو البراءة هو نفسه الاعتراف الاجتماعي " (بتلر، ٢٠١٤ : ٩٨). إن ما يميز العلاقات الأخلاقية هو طابعها الاجتماعي المرتكز على تداولية الاعتراف، هذا فضلاً عن تشعب حالاتها وعلائقيتها المعقدة وأحكامها الظرفية. يستدعي هذا الأمر تعليق الحكم المؤقت والنظر إلى الحالة في بعدها الاجتماعي، وعدم حصر الموضوع في قضية مجرد قرار قانوني بالإدانة. إن طرح هذه الإشكالية على أرضية البحث يتطلب مناقشة فلسفية في أصول علم الأخلاق، أي لابد من الشروع في معالجة الموضوع من

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

جذوره، وأن لا نتخذ من النظريات الأخلاقية الجاهزة معايير نهائية. ذلك أن الأحكام الأخلاقية هي مجرد تفريعات من قضية أعمق تتعلق بقيمة الأخلاق ذاتها.

فمن الجهة الأولى، علينا وقبل ممارسة الحكم الأخلاقي علينا أن ننظر ملياً في جانب الإستهداف الأخلاقي الغائي لأي حكم أخلاقي والذي يتعارض أحياناً مع النظام الأخلاقي العقلاني الصارم ، فما قيمة المعايير الأخلاقية إن هي لم تستهدف جعل الحياة افضل ؟

هنالك تمييز أساس في داخل علم الأخلاق بين أخلاقيات قائمة على أساس الإستهداف الأخلاقي الغائي وأخلاقيات تعتمد مبدأ الواجبية والإلزام المعياري. الصنف الأول ينتمي إلى التقليد الأرسطي، في حين ينتمي الصنف الثاني إلى التقليد الكانطي، الدرس الكبير الأول الذي نحفظه من أرسطو هو بحثه في الممارسة العملية عن المرسى الأساسي لهدف الحياة الجيدة، أما الدرس الثاني فهو محاولته بأن يجعل من الغائية الداخلية للممارسة مبدأً منظماً بنيوياً يهدف للحياة الخيرة الجيدة (ينظر، ريكور، ٢٠٠٥ : ٣٤٣-٣٤٧).

الإستهداف الأخلاقي هو محور الأخلاق عند أرسطو، فليست الأخلاق علماً نظرياً صرفاً، وإنما هي ممارسة عملية تستهدف بناء حياة جيدة " لنتفق بادئ بدء على هذه النقطة وهي أن كل مناقشة تورد على أفعال الناس لا يمكن البتة أن تكون إلا رسماً مبهماً مجرداً عن الضبط... لأنه لا يمكن أن يطلب الضبط في الأدلة إلا بمقدار ما تحتمله المادة الواردة عليها، فإفعال الناس ومنافعهم لا يمكن أن تقبل حكماً ثابتاً مضبوطاً... لأنها لا تقع تحت حكم فن منتظم، ولا تحت قاعدة صريحة " (أرسطو، ١٩٢٤ : ٢٢٩-٢٣٠). إن الفعل الأخلاقي من حيث المبدأ هو بمثابة إختبار عملي قبل أن يكون قاعدة معيارية، بل إن القاعدة الأخلاقية ما هي إلا حصيلة لإستقراءات شاملة في السلوك الإنساني الأخلاقي، ومدى قدرة ذلك السلوك على إستهداف حياة فاضلة. من ناحية أخرى فإن هنالك حالات حرجة تستعصي على الحل وفقاً لمعايير ثابتة، الأمر الذي يدعو لتعليق الحكم المؤقت وإعادة النظر في تلك المعايير الإلزامية.

من جهة ثانية فإن القضية لا تتوقف فقط عند الإستهداف الأخلاقي، لأن التمييز بين الحكم الأخلاقي والعلاقة الأخلاقية يلزمنا البحث عن المصادر التاريخية لأحكامنا الأخلاقية وعلاقتها بالنظام الأخلاقي السائد ، أي معايير الخلقية بشكل عام " يُطلق على أعمال فردية إسم خير أو شر دون إعتبار للدوافع التي تقف وراءها... لكن سرعان ما ينسى الأصل الذي تأتت عنه تلك الصفات... بعدها يتم إقحام صفة الخير والشر داخل الدوافع يتم النظر إلى الأعمال في حد ذاتها

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

على أنها غامضة أخلاقياً، ثم يمضي المرء أبعد فيطلق محمول خير أو شر لا على الدافع فقط، بل على مجمل كيان الإنسان الذي تنشأ عنه تلك الدوافع... والآن نكتشف أخيراً أن هذا الكيان لا يمكن أن يكون مسؤولاً، نظراً لكونه نتيجة حتمية بكليته هو أيضاً " (نيتشه ، ٢٠١٤ : ٦٤-٦٥). على هذا الأساس تجري عملية صناعة الأحكام الأخلاقية، إنها مجرد صيرورة تاريخية سرعان ما يتم نسيان أصولها، فتغدو بمثابة أحكام أخلاقية فطرية.

لكل ذلك تقترح بتلر مبدأ تعليق الحكم الأخلاقي إلى ما بعد تقييم العلاقة الأخلاقية، أي النظر في الشروط الأرضية للأخلاق بعامة، وهي تلك التي تتعلق بالرغبة في الاعتراف، فضلاً عن النظر في الشروط الثقافية للأخلاق " قد يكون الحال أننا لا نكون قادرين على التأمل الأخلاقي في إنسانية الآخر... إلا بتعليق الحكم عليه... وأعتقد أن من المهم إعادة التفكير في الشروط الثقافية للأخلاق، أن نتذكر أن ليست كل العلاقات الأخلاقية قابلة لأن تختزل إلى أفعال حكمية... فضلاً عن ذلك، فإن الحكم مع ماله من أهمية، لا يصح نظرية في الاعتراف، في الواقع نحن قد نصدر حكماً على آخر دون ان نعترف به على الإطلاق " (بتلر، ٢٠١٤ : ١٠٠).

إن العلاقة الأخلاقية تفترض مد جسور التواصل مع الآخر قبل أي محاولة للحكم الأخلاقي، والحقيقة أننا إذا ما أمعنا النظر في هذه المسألة ومارسناها واقعياً، فإننا سنندهش حتماً من مقدار التغيير الحاصل في أحكامنا الأخلاقية " إذا نسينا إرتباطنا بأولئك الذين نلعنهم أو حتى بأولئك الذين يجب أن نلعهم، فإننا نفرط بفرصة أن نكون مثقفين أو مخاطبين أخلاقياً عبر نظرٍ فيمن يكون هؤلاء وما تقول شخصياتهم عن الإمكانية الإنسانية المتاحة، بل ونفرط في تهيئة أنفسنا لإتخاذ موقف مع هذه الإمكانات أو ضدها " (المصدر نفسه : ١٠٠-١٠١). من الجيد إذن التفكير في الحكم الأخلاقي على وفق مبدأ المخاطبة، ذلك أن المخاطبة تفترض بشكل أو بآخر علاقة أخلاقية تأسيسية، مادامت المخاطبة تسمح للإعتراف المتبادل بأن يغدو واقعاً متحققاً.

تعليق الحكم يعني المزيد من التأمل قبيل إصدار أي حكم أخلاقي، اي التأمل في الذات نفسها بغية معرفتها عن كثب، ومعرفة حدود إمكانياتها ومسؤولياتها الأخلاقية، ومدى كون الآخر صورة لها ومرآة لأفعالها. وعلى العكس من ذلك " تعمل الإدانة، والشجب، والإستنكار بوصفها طرق سريعة لرسم خط فاصل أنطولوجي بين الحاكم والمحكوم، بل تطهر الذات من الآخر... بهذا المعنى يمكن للإدانة أن تعمل على الضد من معرفة الذات... بالرغم من أن معرفة الذات مشروع مقيد بحدود مؤكدة، فإن ذلك لا يكفي سبباً أن نناصبه العداء " (المصدر نفسه : ١٠١). فالأحكام

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

المتعجلة لا تقيم إعتباراً لقيمة الآخر بوصفه ذات تستحق الاعتراف، والحال كذلك فإن الإدانة السابقة للعلاقة الأخلاقية هي صورة الذات غير العارفة بنفسها.

نعم إن هناك حدود لمعرفة الذات، وهذا أمر مؤكد، ولكن هذا لا يعني الجهل المطبق بها، وإنما الإقرار فقط بمحدودية هذه المعرفة. كما إن المحدودية هنا لا تمنع محاولة سبر أغوار الذات، لا بل ويمكن القول بأن جانب العتمة الأولي هو الدافع من وراء محاولة تأمل الذات في علائقيتها المتشابكة مع الآخر، وهو الركن الأساسي في تأسيس أخلاقيات نقدية تتخذ من المخاطبة منطلقاً لكافة الأحكام الأخلاقية " بهذا المعنى يكون الحكم ضرباً من الإخفاق في الإقرار بمحدوديتنا وبالتالي لا يوفر أساساً موفقاً للإعتراف المتبادل بين البشر بوصفهم يحملون جميعاً عتمة تجاه أنفسهم، عمى جزئي، ومحدودية من حيث التكوين، أن يعرف المرء أنه محدود يعني دائماً أنه يعرف شيئاً عن نفسه، حتى وإن كانت المعرفة مبتلاة بالمحدودية التي يعيها المرء " (المصدر نفسه : ١٠١-١٠٢).

المطلب الثاني : بنية الذات الأخلاقية والنقد الاجتماعي

إن إصرار بتلر على تبيان علائقية اللاوعي الخارجية وعدم قدرة الذات على إنجاز سرد مكتمل يفهم في سياق محاولتها الرامية لتوضيح النواة الأخلاقية الكامنة في صميم تشكل الهوية الذاتية، فهناك على الدوام بعد أخلاقي يقيد ويحدد الهوية الذاتية، يتزامن هذا البعد مع لحظة نشأة الذات الإنسانية وظروف تشكلها " إن الأنا التي هي أنا لا تكون شيئاً دون الأنت هذه، ولن تتمكن حتى من الشروع في الإحالة إلى ذاتها خارج العلاقة مع الآخر التي بها تتخلق قدرتها على الإحالة إلى الذات... يعني هذا أنني متشكلة أيضاً بطرق تسبق تشكيلي نفسي وتعززه، وهذا النوع الخاص من الوجود المتعدي يصعب، إن لم نقل من المستحيل روايته " (المصدر نفسه : ١٥٢-١٥٣).

وفقاً لهذه الرؤية يصبح البحث الأخلاقي جزء لا يتجزأ من البحث في أصل الهوية الذاتية وطريقة تكونها، فالذات الإنسانية تحمل في ثناياها الآخر بوصفه تحدياً داخلياً-خارجياً في الوقت نفسه، يتجلى ذلك صراحة في البنية اللغوية لمشهد المخاطبة وهي بنية سابقة أو على الأقل متزامنة مع نشأة الهوية الذاتية " إن لهذا الرأي مضامينه بالنسبة لإصدار الأحكام الخُلقية أيضاً : وهي تتمثل تحديداً في كون بنية المخاطبة تمثل شرط إصدار الحكم بحق شخص ما أو بحق أفعاله / أفعالها، وفي كونها غير قابلة للرد إلى الحكم، وفي كون الحكم، وهو غير مدين بالفضل إلى الأخلاق التي تنطوي عليها بنية المخاطبة، يميل إلى العنف " (المصدر نفسه : ١٢٦).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

لهذه الرؤية أهمية بالغة على صعيد الدراسات الأخلاقية والاجتماعية، فعلى النظريات الاجتماعية التي تبحث في شؤون التجمعات البشرية أن تسعى إلى تمثيل البنية الأخلاقية للذات الإنسانية على أكمل وجه، أي بذل الجهد في تحقيق التناظر التام بين البنية الأخلاقية للهوية الذاتية وبنية المجتمع. إن حياتنا مرتبطة بحياة الآخرين، وأنه يجب إيجاد تنظيم إجتماعي لحياتنا يعكس ويكرم هذا الترابط الذي لا يمكن التغلب عليه، وعلى الرغم من أننا نستطيع تدمير بعضنا البعض، إلا أننا في مثل هذه اللحظات ندمر أنفسنا، لأننا كمخلوقات إجتماعية، فإننا الواقع الذي تحدده روابطنا الاجتماعية، فأي تدمير لتلك الروابط هو تدمير للذات (See, Butler, ٢٠٢١ : ٤٥).

كذلك فإن هذا الشعور الأصلي بالتبعية للآخر يفسر لنا البنية العميقة للرغبة في إستحصال الاعتراف أو الصراع من أجل الحق في الوجود. كما إنه يوضح لنا أسباب العنف والعدوان المتأصل بين البشر، وبدون هذه الرؤية الواضحة لا يمكننا القيام بأي شي في سبيل مكافحة ذلك. إن مشهد الخطاب يؤسس بالفعل شرط مسبق للإعتراف، وهو شرط له أثاره الأخلاقية الخاصة بالنظر لأنه يساعد في توضيح قابلية التعرض المتبادل، وعلى المستوى الأساسي يكشف الاعتراف عن مدى كوننا كائنات إجتماعية، فالشخص الذي يمنح الإعتراف هو بحاجة للاعتراف به أيضاً، إنه يسعى إلى منح قيمة أخلاقية في الوقت الذي يطمح للحصول عليها (See, Ibid : ٥٠-٥١).

إن الهوية الذاتية هي بنية معقدة تتشكل في ظل قيود أخلاقية أولية، توفر لنا هذه القيود فرصة ثمينة لمعرفة ذواتنا واكتشافها عن كثب، فنحن لسنا كائنات منعزلة في عوالمنا الخاصة، كما إننا في نفس الوقت لسنا مجرد كائنات منفعلة، بل إننا نحيا في خضم عالم من التأثير المتبادل يحتم علينا العمل من أجل العيش في وفاق مع الآخر " سيكون من الضروري إعادة النظر في علاقة الأخلاق بالنقد الاجتماعي، إذ أن جزءاً مما أجد صعوبة في سرده هو القواعد الاجتماعية بطبيعتها التي جاءت بي إلى الوجود، إنها كما هي شروط كلامي، لكني لا أستطيع أن أموضع هذه الشروط بشكل تام داخل نسيج كلامي، يقاطعني أصلي الاجتماعي، لذلك يكون لزاماً عليّ العثور على طريقة بها أتمكن من القيام بجرد من أكون " (بتلر، ٢٠١٤ : ١٥٣).

على هذا الأساس تصبح العلاقة بين علم الأخلاق وعلم الاجتماع علاقة تكاملية، ويقع على عاتق الذات مهمة النقد الاجتماعي. إن الذات الإنسانية وبحكم كونها: من جهة أولى وليدة قيود مجتمعية سابقة على وجودها، ومن جهة ثانية أنها وعلى الرغم من ذلك تشعر بحريتها الجزئية وقدرتها على وصف نفسها، مهما كان هذا الوصف مرتبكاً. والحال كذلك فإنها تجد نفسها ملزمة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

بتبني النقد الاجتماعي بغية إدراك حدود إمكاناتها ومسؤولياتها الأخلاقية " يعني تحمل المسؤولية عن أفعالنا أن نقر بالحدود التي تقيد أي فهم للذات، وأن نؤسس هذه الحدود ليس بوصفها شرطاً للذات، ولكن مأزقاً تعيشه الجماعة البشرية... إن الحد الذي يقيد العقل هو العلامة الدالة على إنسانيتنا " (بتلر، ٢٠١٤ : ١٥٨).

الخاتمة

- تتشكل الذات الإنسانية من حيث المبدأ في سياق علاقة ثنائية تحركها الرغبة في إستحصال الاعتراف من الأخر .
- يتسم الوعي الذاتي بسمة إنعكاسية ، فالذات لا تكتشف نفسها إلا عبر جدلية متواصلة، أو سيرورة تكوينية تعمل على تفكيك حالة العماء الأولية .
- تتعرف الذات على نفسها بوصفها مشروع في الوجود لا هوية ثابتة، إنها بالفعل تكتشف ذاتها وكأنها آخر. فليست هي نفسها ما كانت عليه من قبل، وليست هي مجرد إنعكاس للآخر .
- تتضمن فلسفة الأخلاق بالضرورة نقداً تصحيحياً للقواعد الأخلاقية العامة ، ومن ثم فإن سطوة العقل الأخلاقي الجمعي لا يعني تلاشي المقدرة الأخلاقية للذات بأي حال من الأحول، فالذات الإنسانية تكتشف كامل قدراتها الأخلاقية في موقع السجال هذا، ومن خلال رفضها النقدي لما هو معطى تحاول الذات تدبر معايير جديدة وخلق واقع أفضل .
- إن استحالة تقديم وصف نهائي للهوية الذاتية لا يمكن إعتباره فقراً أخلاقياً بقدر ما هو شرط وجودي لتأسيس أخلاقيات المسؤولية .
- تعليق الحكم يعني المزيد من التدبر قبيل إصدار الأحكام الأخلاقية ، تجنباً لخطر الإنتقال المتعجل من الميدان الأخلاقي إلى مجال الأحكام القانونية أو محاولة حصر العلاقات الأخلاقية وأرضيتها الاجتماعية في إطار قانوني ضيق .
- إن نواة الهوية الذاتية هي بنية أخلاقية في الأصل ، يستتبع ذلك مراعاة النظريات الاجتماعية لهذا الجذر التكويني .

قائمة المصادر والمراجع

١. أرسطو : علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، الترجمة الفرنسية من الأصل اليوناني بارتلمي سانتهلير، الترجمة العربية أحمد لطفي السيد، د.ط ، الجزء الأول، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٤.
٢. آرنت حنة : الوضع البشري، ترجمة هادية العراقي، الطبعة الأولى، منشورات جداول، ٢٠١٥.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

٣. بتلر، جوديث : الذات تصف نفسها، ترجمة فلاح رحيم، الطبعة الأولى، التنوير، بيروت، ٢٠١٤.
٤. ريكور، بول : الذات عينها كآخر، ترجمة جورج زيناتي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٥.
٥. فوكو، ميشيل : تاريخ الجنسانية، ترجمة محمد هشام، د.ط ، الجزء الثاني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٤.
٦. لاكان، جاك : الذهانات، ترجمة عبدالهادي الفقير، الطبعة الأولى، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٧ .
٧. نيتشه، فريدريش : إنساني مفرط في إنسانيته، ترجمة علي مصباح، الطبعة الأولى، دار الجمل، بيروت، ٢٠١٤.
٨. نيتشه، فريدريش : في جينيالوجيا الأخلاق، ترجمة فتحي المسكيني، الطبعة الأولى، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠.
٩. هيغل، فريدرش : فينومينولوجيا الروح، ترجمة ناجي العوّني، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٦.
١٠. Adorno, Theodor : problems of Moral Philosophy, Edited by Thomas Schroder,-
١١. Translated by Rodney Livingstone, Polity Press, Cambridge, First Published, ٢٠٠٠.
١٢. Butler, Judit: Antigons Claim, Columbia University Press, New York, ١٩٩٨.-
١٣. Butler, Judith : Precarious Life, Verso, London, ٢٠٠٤.-
١٤. Butler, Judith : Subjects Of Desire, Columbia University Press, New York, ١٩٨٧.-
١٥. Butler, Judith : Thresholds of Melancholy, in : The Prism Of Then Self, Edited by
١٦. Steven Crowell, Business Media, Texas, ١٩٩٥.
١٧. Butler, Judith: Notes Toward A Performative Theory of Assembly, president ana Fellow of Harvard College, ٢٠١٥.
١٨. Butler, Judith: Recognition and the Social Bond, In: Recognition And Ambivalence,-
Edited by Heikki Ikaheimo, Kristina Lepold and Titus Stahl, Columbia University Press, New York, ٢٠٢١.
١٩. Butler, Judith: The Force of Non-Volence, Verso, London, ٢٠٢٠.-
٢٠. Cambell, Kirsten: The Plague of Subject, in: Butler Matters, Edited by Marggret-Breen, Routledge, New York, ٢٠٠٥.
٢١. Elisabetta R. Bertolino : Adriana Cavarero Resistance and Voice Of Law, Routledge, new york , ٢٠١٨
٢٢. Kirby, Vicki : Judith Butler live theory, Continuum, New York, ٢٠٠٧.-
٢٣. Parisa Shams : Judith Butler and Subjectivity, Palgrave macmillan, Australia, ٢٠٢٠.-
٢٤. Salih, Sara : Judith Butler, Routledge, New York, First Published, ٢٠٠٢.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد السادس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ